(ورقة عمل)

الفجوة الرقمية وانعكاساتها علي الأداءات المهنية لمعلمة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة

إعداد:
أ.د/ السيد عبدالقادر شريف*

مقدمة:

يقول الحق سبحانه وتعالي: "ولقد كرمنا بني أدم" صدق الله العظيم سورة الإسراء: الآية ٧٠

إن تقدم أي مجتمع مرهون بدرجة كبيرة بما يقدمه لأبنائه من رعاية واهتمام، وذوي الاحتياجات التربوية الخاصة ومن بينهم المعاقون جزأ لا يتجزأ من المجتمع لم تمكنهم ظروفهم من التعليم في مؤسسات التربية والتعليم العادية لظروف خارجة عن إرادتهم وليس لهم دخل فيها.

وذوي الاحتياجات الخاصة من الأطفال يمثلون الأطفال ذوي الإعاقة والأطفال الموهوبين، ونحن هنا بصدد الحديث عن الأطفال ذوي الإعاقة لأنهم الأولي بالرعاية والحماية والوقاية والتأهيل.

والمعيقات الاجتماعية مثل نظرة المجتمع السلبية والظالمة للمعاقين تؤدي للحد من قدرة المعاق للاستجابة لمتطلبات البيئة التي يعيش فيها، ولذلك من يعتبر معاق في مجتمع معين قد لا يعتبر معاق في مجتمع أخر، لذا ذهب البعض إلي القول أنه لا يوجد فرد معاق بل يوجد مجتمع معيق.

وتشكل البرامج الوقائية للمعاقين استثمارا اجتماعيا له عائد اقتصادي وذلك لأنها توفر الجهد الإنساني المبذول لرعاية المعاقين وتأهيلهم وتوجيه هذا الجهد لمجالات أخري. ومنع الضرر عن فئة من أبناء المجتمع وهم المعاقين والإسهام في إزالة ما يمنعهم من المشاركة في عملية البناء والتنمية المجتمعية.

وقد قامت التربية الخاصة علي مجموعة من الأسس وهي:

١- الأساس الديني والأخلاقي:

حيث تحض تعاليم الدين الإسلامي علي المساواة في الحقوق والواجبات والتكافل الاجتماعي ورعاية الفقراء والضعفاء، وتعتبر الخدمات المقدمة للمعاقين مؤشرا هاما علي تحضر المجتمع.

٢- الأساس القانوني:

كفل القانون مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية للجميع، وحقوق المعاقين في التعليم واجب قانوني ودستوري، وأقر البيان العالمي حول التربية للجميع عدة مبادئ منها:

- حق كل طفل في مرحلة كاملة من التعليم الأساسي.
- الالتزام بمفهوم التعليم الذي يكون محوره الطفل ويعترف بحقوقه الفردية.

* أستاذ أصول تربية الطفل - رئيس قسم العلوم التربوية السابق - كلية التربية للطفولة المبكرة جامعة القاهرة

- ضرورة تحسين نوعية التعليم.
- زيادة شراكة أولياء الأمور والمجتمع المحلي في جهود دعم التعليم.
- بذل مزيد من الجهود من أجل تعليم الكبار.

٣- الأساس الاقتصادي:

إن إهمال تعليم الأطفال المعاقين بحجة أن تعليمهم يحتاج إلي نمط خاص من التعليم سيحرم المجتمع من خدمات شريحة ليست قليلة من أبنائه، وسينتج عن ذلك وجود فئات معاقة تمثل عبئا علي المجتمع، وبالتالي سيتم تحويل نشاط فئة أخري من أفراد المجتمع لخدمة هؤلاء ورعايتهم بدلا من الإسهام في زيادة الإنتاج في الجوانب المختلفة، وهذا يعني زيادة التكلفة علي المجتمع.

ولكي تتم سبل الرعاية والحماية والتنمية والتعليم لتلك الفئات لابد من وجود معلمة مؤهلة ومتخصصة ومدربة ومعدة إعدادا علميا وتربويا ومهنيا وتكنولوجيا للتعامل مع معطيات العصر ومستجداته، وتوظيف الوسائط والأدوات الرقمية في تعليم ورعاية وتأهيل الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة.

وتعد معلمة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة أهم عنصر في العملية التربوية بالنسبة للطفل لأنها هي التي تتعامل معه وتنفذ المنهج وتهيء البيئة الصفية وتخطط لها وتنظمها، كما أنها المسئولة عن اختيار طريقة التعلم المناسبة والاستراتيجية التي تحقق الأهداف التربوية وإثراء موقف الخبرة باستخدام التقنيات التربوية المناسبة.

ومهما كان المنهج جيدا ومهما كانت أدوات التنفيذ ووسائله متوفرة في الروضة كل ذلك لن يجدي نفعا مع معلمة غير مؤهلة وغير معدة إعدادا مناسبا، خاصة إذا كانت تتعامل مع أطفال معاقين من ذوي الاحتياجات الخاصة، لأن طبيعة الإعاقة مختلفة ودرجتها متباينة من طفل لأخر، لذلك فإن المعلمة الناجحة المدركة لطبيعة أدوارها ومهام مهنتها، يمكنها أن تتدارك ما في المنهج من قصور لمعالجته وتسعي إلي تحقيق الأهداف المنشودة بكفاءة وفاعلية، من هنا كان الاهتمام بإعدادها وفق أحدث المعايير العالمية.

وتعتمد العملية التربوية في الروضة علي ما يجري من اتصال وتفاعل بين الأطراف المكونة لها (المعلمة – الأطفال – الأجهزة – الوسائل والخامات- الإدارة – أولياء الأمور....إلخ).

و يعد إعداد معلمة رياض الأطفال علي المستوي الجامعي أحد المعايير الهامة للحكم علي نجاح المعلمة وكفاءتها العلمية والمهنية، لمواجهة تحديات الحاضر والمستقبل، وبدون هذا الإعداد تظل مواهبها واستعداداتها قاصرة عند حدود معينة لأن الميول والاستعدادات تكتسب بالإعداد التربوي للمعلمة.

كما ترجع أهمية الإعداد التربوي للمعلمة لتمكينها من مواجهة تحديات الحاضر والمستقبل والذي يرتبط بالتطورات العلمية والتكنولوجيا السريعة والمتلاحقة في شتي جوانب الحياة كما يمكنها من امتلاك مهارات البحث العلمي والتعلم الذاتي والنمو المهني المستمر.

وتقوم معلمة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة بأدوار عديدة ومتداخلة وتؤدي مهام كثيرة ومتنوعة تتطلب منها مهارات فنية مختلفة يصعب تحديدها بشكل دقيق، فإذا كان المعلم في مراحل التعليم الأخرى مطالبا أن يتقن مادة علمية معينة ويحسن إدارة الفصل فإن معلمة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة مسئولة عن كل ما يتعلمه الطفل إلي جانب توجيه عملية نمو كل طفل إلي المسار الصحيح.

وحتي تستطيع المعلمة أداء دورها بكفاءة وفاعلية يجب امتلاكها للمهارات الرقمية بكل مفرداتها وأنواعها وطرق توظيفها بما يدعم العملية التربوية ويثري موقف الخبرة ويحقق الأهداف، حيث أن امتلاك المعلمة لتلك المهارات أصبح ضرورة حيوية ومطلب أساسي في عصر الانفجار المعرفي والثورة التكنولوجية والرقمنة والعولمة.

وتستطيع معلمة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة حوسبة طرق التعلم ودمج التقنيات في التعليم من خلال توفير بيئة تعلم مناسبة للطفل تيسر التفاعل بينه و بين الحاسوب و يكون دور المعلمة تجهيز هذه البيئة وإعدادها و التأكد من امتلاك كل طفل للمهارات اللازمة لأداء نشاط معين، و تتضمن برامج الحاسوب تسكين كل طفل حسب مستواه من خلال توفير أسئلة متدرجة و مرتبة في عدة مستويات تعليمية تكون شامله لكل الأهداف التعليمية الخاصة بالبرنامج موضوع النشاط.

وتوفر برامج الحاسوب الإثارة والجاذبية والحوار عن طريق الصوت والصورة والحركة والاهتمام بأساليب التعزيز لاستجابات الطفل الصحيحة وتعديل الاستجابات الخاطئة، كما يمكن استخدام الحاسوب لنمط المحاكاة وتمثيل المواقف التعليمية التفاعلية، و توظيفه في تنمية المهارات المختلفة للأطفال من علمية وفنية وموسيقية...ألخ.

كما تساهم برامج الحاسوب في توفير بيئة مناسبة لتنمية التفكير لطفل الروضة من خلال اختيار الطفل البرمجيات التي تشبع ميوله وتلبي احتياجاته ويلتزم بإنجازها، وكذلك تسهم هذه البرامج في اكتساب مهارات التفكير للطفل من خلال توفيرها لبيئة مرنة تساعد الطفل علي انتقاء البرامج التي يرغبها بحرية ويجرب الأفكار الجديدة دون خوف من ارتكاب الأخطاء.

وضعف امتلاك معلمة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة للمهارات الرقمية وتوظيف الوسائط التربوية بما يحقق الأهداف التربوية يعد هدرا مقصودا في ضياع وقت الأطفال وضعف تعليمهم وتأهيلهم بشكل مناسب لتطورات العصر والتعامل مع معطياته وبالتالي تزداد الفجوة الرقمية وتتسع الهوة المعرفية بين المعلمة وكيفية التعامل مع الرقمنة من ناحية ومع الأطفال وضعف تعليمهم وتأهيلهم وإعدادهم للحياة بشكل مناسب من ناحية أخري.

ومن الأدوار التي يجب أن تقوم بها معلمة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة دور الشارح والموضح باستخدام الوسائل التقنية المختلفة مع الأطفال وتشجيعهم علي التفاعل أثناء العملية التعليمية من خلال تشجيعهم علي طرح الأسئلة، و استخدام الوسائل التقنية بما يتيح لهم طرح أرائهم ووجهات نظرهم بحرية كاملة.

ولكي يتم ذلك لابد من امتلاك المعلمة لمجموعة من المهارات للتعامل مع معطيات العصر الرقمي مثل:

١- القدرة علي التفكير الناقد:

ويتطلب ذلك من المعلمة القيام بمجموعة من الممارسات لتنمية مهارة التفكير الناقد لدي الأطفال ومنها التخطيط للمواقف والخبرات التعليمية، حيث تعد المعلمة مخطط للخبرات التعليمية نحو مشكلات الحياة الواقعية من خلال التعامل علي نحو إبداعي مع مواقف واقعية في حياة الأطفال، وتوظيف مبادئ ديناميات المجموعة في توطيد مناخ اجتماعي متماسك يسمح فيه بالتعبير عن الرأي والاستكشاف الحر وإثارة حب الاستطلاع والاهتمام لدي الأطفال وطرح الأسئلة الملائمة ومناقشة المواقف المختلفة التي تهم الأطفال.

٢- إكساب الأطفال المهارات الحياتية المختلفة:

يعد إكساب المهارات الحياتية وتنميتها للأطفال من الأهداف الرئيسية للتربية المعاصرة، حيث تركز المنظمات الدولية والإقليمية علي ضرورة تعليم هذه المهارات وإدماجها في المناهج الدراسية وبرامج تكوين المعلم، ومن هذه المهارات ما يتعلق بالمهارات الحياتية الشخصية مثل اتخاذ القرار ونقد وتعزيز الذات وتطوير القدرات وتحديد الأهداف والثقة بالنفس وإدارة الوقت والمرونة وغيرها، ومنها ما يتعلق بالمهارات الاجتماعية مثل العمل الجماعي وتكوين علاقات اجتماعية ناجحة والحوار والإقناع والتفاوض وتقبل الأخرين.

٣- استخدام وإدارة تكنولوجيا التعليم:

أصبحت التقنية مع التعليم من أهم المتغيرات الجوهرية، فالتعليم والتقنية هما طريق المستقبل، وفي الآونة الأخيرة بدأت التقنية تعمل علي إعادة تشكيل بيئات التعلم وإحداث تغيرات جوهرية في علاقة المعلم بالمتعلم والمنهج وفي ألية الاتصال وتبادل المعلومات بينهما، وبالتالي أصبح من الضروري علي المعلمة استخدام الأساليب التكنولوجية الحديثة في تصميم وتنفيذ البرامج التعليمية وتوظيفها في عملية التعليم.

٤- مهارة دعم الاقتصاد المعرفي:

حيث يمكن أن تتحقق الثروة من خلال الاستثمار في المعرفة خاصة في مجال التكنولوجيا المتقدمة، ومن أهم مظاهر الاقتصاد المبني علي المعرفة:

- سرعة توليد ونشر واستثمار المعرفة
- زيادة أهمية ودور المعرفة في الأداء الإقتصادي وزيادة الثروة
- تحرير التجارة وزيادة نسبة التكنولوجيا في الصادرات

ولدعم الاقتصاد المعرفي تحتاج المعلمة القيام بالأدوار الأتية:

- التنويع في أساليب واستراتيجيات التعلم لتواكب حاجات الأطفال وتراعي الفروق الفردية بينهم
- تطوير الأنشطة لتنمية روح العمل الجماعي والفردي
- استخدام تطبيقات الحياة اليومية بحيث تربط بما يتعلمه الأطفال بحياتهم اليومية والعملية

- قضاء وقت أكبر مع الأطفال في استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

٥- إدارة قدرات الأطفال من خلال التعليم المتمايز:

يوفر التعليم المتمايز بيئة تعليمية مناسبة لجميع الأطفال لأنه يقوم علي أساس تنويع الطرق والاستراتيجيات والإجراءات والأنشطة الأمر الذي يمكن كل طفل من بلوغ الأهداف المطلوبة بالطريقة التي تناسبه.

ومن مبررات استخدام التعليم المتمايز أن الأطفال يمتلكون قدرات واهتمامات ودوافع مختلفة، كما أنه يهدف إلي رفع مستوي جميع الأطفال، وبالتالي هو سياسة تأخذ في اعتبارها الخصائص النمائية للأطفال وخبراتهم السابقة بهدف زيادة إمكانياتهم وقدراتهم.

طرق تنمية مهارات معلمة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في عصر الرقمنة:

يمكن تنمية مهارات معلمة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في العصر الرقمي من خلال الطرق التالية:

١- التنمية المهنية الإلكترونية للمعلمة:

تتعامل معلمة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة مع أهداف متجددة بشكل مستمر وتتفاعل مع عقليات متباينة من المتعلمين بشكل دائم، ويتطلب ذلك تنمية مهنية إلكترونية، ولتحقيق ذلك يتطلب الأمر مجموعة من الأليات مثل:

- التنمية المهنية للمعلمة من خلال التقنيات المعاصرة مثل برمجيات الحاسوب والتعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد
- التنمية المهنية من خلال التطوير الذاتي مثل الحقائب التعليمية والتعليم المبرمج
- التنمية المهنية من خلال برامج التدريب أثناء الخدمة.

٢- التدريب الإلكتروني للمعلمة:

حيث يعد التدريب الإلكتروني للمعلمة من أهم تأثيرات العصر الرقمي علي التنمية المهنية للمعلمة، والذي يعتمد علي تقنية الإتصالات والمعلومات في النشاطات المطلوبة لعملية التنمية المهنية لتشمل التعليم الإلكتروني والتدريب الإلكتروني والذي لا يقتصر علي إرسال المادة العلمية للمستفيدين، بل يتعدى ذلك ليشمل جميع الخطوات والإجراءات من إدارة وتدريب ومتابعة للعملية التدريبية، فهو يعتمد علي تقديم البرامج التدريبية والتعليمية عبر وسائط إلكترونية متنوعة تشمل الأقراص المدمجة وشبكة الإنترنت بأسلوب متزامن أو غير متزامن باعتماد مبدأ التدريب الذاتي أو التدريب بمساعدة مدرب.

٣- التحفيز:

تعد الحوافز من المتطلبات الهامة لتنمية المعلم مهنيا، لأنها تولد لديه دافعية عالية ليقوم بجهود مخلصة تعمل علي تطوير ممارساته للحصول علي تلك الحوافز، كما يمكن اعتبارها قوة دافعة للاستفادة من الفرص المقدمة بشكل أكثر بشرط أن يصبح اجتياز الفرصة شرط للحصول علي الحافز.

التحديات التي يفرضها العصر الرقمي علي التنمية المهنية لمعلمة ذوي الاحتياجات الخاصة:

توجد مجوعة من التحديات التي يفرضها العصر الرقمي علي التنمية المهنية للمعلمة وهي:

١- التربية المستدامة:

وهي تربية تمتد طوال حياة الإنسان وتهدف إلي إكساب معلمة ذوي الاحتياجات الخاصة الكفايات التي تؤهلها بشكل عام إلي مواجهة المواقف الحياتية المختلفة والتعايش مع الأخرين.

٢- قيادة التغيير:

حيث يفرض العصر الرقمي علي المعلمة اتباع أسلوب تفكير عقلاني منظم يساعدها علي استشراف أفاق المستقبل لقيادة التغيير نحو الأفضل.

٣- ثورة المعلومات:

حيث أحدثت ثورة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات ونظمها تغيرات واسعة ومهمة في العالم، حيث تزايدت أعباء المعلمة التي لم يعد مطلوبا منها الاكتفاء بنقل المعرفة للمتعلم، بل أصبح مطلوبا منها تنمية قدرات المتعلمين علي الوصول للمعرفة من مصادرها المختلفة والاستثمار الأمثل للمعلومات من خلال البحث عن الطرق الفعالة لتحقيق أقصي استفادة ممكنة.

٤- التحديات الثقافية:

حيث يشهد العصر الرقمي صراع ثقافي يهدد سلوكيات وقيم المجتمعات، مما يزيد العبء علي المعلمة للقيام بدورها في تعميق انتماء الطفال لمجتمعهم ودعم الهوية الثقافية وتعزيز الأفكار والقيم الإيجابية السائدة في المجتمع.

٥- إدارة التكنولوجيا:

أدي ظهور تكنولوجيا المعلومات إلي استحداث أنماط تعليمية جديدة تهدف إلي إكساب المعلمة مهارات التعامل مع هذه المستحدثات بهدف مساعدة الأطفال علي الاستفادة منها، لأن العصر التكنولوجي لم يعد مطالبا المعلمة بأن تستخدم الوسائل التقنية بإتقان فحسب ولكن تصميم وتطوير البيئة التقنية.

وتوظيف المعلمة لتقنية المعلومات في التعليم يتيح لها التغلب علي جمود المحتوي الدراسي وعرض مادته العلمية بصورة جذابة ومشوقة وأكثر فاعلية، كما أن توظيف تقنية المعلومات من جانب المعلمة يوفر خدمات تعليمية أفضل ويتيح لها وقتا أطول لتوجيه أطفالها واكتشاف مواهبهم وتنمية مهاراتهم الذهنية، وزيادة قدراتهم علي التفكير المنظم.

٦- تمهين التعليم:

ويقصد به جعل التعليم مهنة يمارسها المتخصصين والمؤهلين والمعدين إعدادا جامعيا ومهنيا وأكاديميا متخصصا لممارسة تلك المهنة، حتي يمكنهم مواجهة التحديات ومواكبة التطورات الناجمة عن العولمة والمعلوماتية وغيرها من العوامل التي جعلت التربية تعاني من أزمات عديدة منها: نوع التعليم التقليدي ومستوي التعليم ومخرجاته والتحولات العالمية في المجالات الإقتصادية

والتقنية والتراكم السريع للمعرفة في تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات بشكل عام وعلي مهارات المعلمة بشكل خاص.

من مجمل ما سبق يتضح أن امتلاك المعلمة للمهارات التكنولوجية أصبح ضرورة حيوية وحتمية تفرضها عوامل التغير الرقمي السريع بمعطياته المتعددة ومرتكزاته المتباينة في عالم لا يعترف إلا بالقوة ولا مكان في للضعيف، لذلك كان لزاما علي معلمة ذوي الفئات الخاصة أن تطور من مهاراتها وتزيد من معارفها التربوية وامتلاكها القدرة للتعامل مع عناصر ومفردات الثورة الرقمية حتي تستطيع مسايرة كل ما هو مستحدث في مجال عملها خاصة وأنها تتعامل مع أطفال معاقين مما يفرض عليها مضاعفة الجهد من أجل حمايتهم ورعايتهم وتنميتهم وتأهيليهم بشكل مناسب.